مزالق التعريب

الأستاذ ادريس العلمي - الدار البيضاء

لشد ما يحز فى نفسى أن اسمع أو اقرأ مثل هاته العبارة التى تتردد على كثير من الاقلام والالسنة سواء فى مجال التعريب والترجمة وفى مجال الانشاء والتحرير: « لعب القرآن دورا كبيرا فى حفظ اللغة العربية وانتشارها » او « لعب الاسلام دورا عظيما فى توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » الى آخر ذلك من العبارات التى يستعمل فيها فعل « لعب » ضده معناه اللغوى فى الحقيقة وفى المجاز وعكس مفهومه فى القديم والحديث عند ما يعنى به قام بعمل جدى ، أو فعل شيئا مجديا ، أو قصد مقصدا صحيحا ، أو عمل عملا صالحا او مستقيما وذلك لان لفظ « اللعب » ما عنى قط فى كلام العرب ولا فى افهامهم منذ أن كانت لغة الضاد الى يومنا هذا معنى من هذه المعانى التى لم يرد له فيها استعمال · وقد اتفقت المعاجم العربية قديمها وحديثها على أن لفظ « اللعب » يطلق حقيقة على اللهو ويطلق مجازا على كل عمل لا يجدى نفعا أو لا يقصد به مقصد صحيح أو على كل عمل لا يستقيم ·

ولم يستعمل قط ، قبل هذا ، بل ولا يستعمل حتى الآن فعل « لعب » للدلالة على الجد أو الجداية او صحة القصد او العمل الصالح أو المستقيم الا فى المجاز المنتحل لهذه العبارة وحدها : « لعب دورا » وهى عبارة غير صحيحة من الناحية اللغوية لا شكلا ولا موضوعا ، اى لا من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى ، كما سيتبين ذلك من بقية البحث ·

فليست هذه العبارة المقحمة فى اللغة العربية تعسفا سوى ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية « Jouer un rôle » التى لها معنى حقيقى ومعنى مجازى اعطيا معا للعبارة الملفقة · ويقصد بالعبارة الفرنسية حسب موسوعة لاروس فى شرح حقيقتها : « مثل دورا فى المسرح او السينما » أما فى شرح مجازها الذى هو موضوع بحثنا فقد ورد ما يلى : « قام بعمل ، او بوظيفة ، سلك سلوكا ما ، كان مائلا على نحو ما فى ظرف من الظروف ، كان له اثر أو تاثير ما »·

فترجمتها بعبارة «لعب دورا» ترجمة بعيدة عن الصواب كل البعد لانها انتحلت لفعل «لعب» العربى خصائص لغوية ، نحوية ودلالية ، اختص بها فعل « Jouer » الفرنسى ما كانت للفعل العربى ولا يسوغ له لشدة اختلاف وتباين البيئة اللغوية التى

نشا وترعرع فيها الفعل العربى عن البيئة التى يوجد فيها الفعل الفرنسى ·

فمن المعلوم عند من يحسن اللغتين أن فعل « Jouer » يستعمل فى لغته لازما ومتعديا بنفسه ومتعديا بغيره بينما فعل « لعب » لا يستعمل فى اللغة العربية الا لازما ولم يستعمل متعديا بنفسه قط على نحو ما هو فى عبارة « لعب دورا » · فان العرب تقول : « لعبنا بالشطرنج ، ولعبنا بالنرد او بالكرة » ولا تقول « لعبنا الشطرنج الخ . . » فالترجمة اذن قد انتحلت التعدية لفعل « لعب » العربى اللازم لا لشىء الا لتجعله على غرار الفعل الفرنسى « Jouer » سواء بسواء » هذا من حيث اللفظ ·

اما من حيث المعنى فان من يتتبع الوجوه والمواطن التى يستعمل فيها فعل « Jouer » الفرنسى ومصدره « Jeu » يجدهما على خلاف فعل « لعب » ومصدره « اللعب » يتقلبان فى بيئة لغوية يمتزج فيها الجد واللهو والصلاح والفساد ، والجداية والعبث والاستقامة والانحراف والنفع والضرر ، حيث لهما دلالات اصطلاحية علمية وتقنية فى شتى الميادين نذكر بعض ما ورد منها فى موسوعة لاروس مثل السكك الحديدية والبناء والاقتصاد السياسى والكهرباء والبحرية والمكنية والصيد والتقنولوجية ؛ هذا الى جانب استعمالهما فى الفنون الجميلة والالعاب الرياضية وغيرها ·

وبصدد الاستشهاد سينحصر سردنا للامثلة فى جانب الجد والاستقامة الذى اختص به فعل « Jouer » ومصدره « Jeu » دون الفعل العربى «لعب» ومصدره ونترك جانب اللهو والفساد الذى يشترك فيه الفعلان الفرنسى والعربى · وبما اننا نتعدى حدود هذا البحث اذا نحن استقصينا المعانى والامثلة والعبارات الواردة فى موسوعة لاروس ومعجم بول روبير فاننا سنجتزىء عنها بالعبارات والامثة والدلالات التالية التى تفيد العمل الجدى والاستقامة او الصلاح وصحة القصد او النفع او الجداية ·

ففيما يخص فعل « Jouer » نقتصر على المعانى التالية :

1) استعمل ، استخدم :

مثلا استعمل القضيب ، او المدية
Jouer du bâton, du couteau, du revolver, de l'éventail (etc ...) او المسدس او المروحة (الخ . .)

2) اشتغل ، شغل :

مثلا زنبرك او مزلاج لم يعد يشتغل
Ressort, verrou qui ne joue plus

شغل او ادار المفتاح فى القفل
Faire jouer la clef dans la serrure

شغل ديك بندقية
Faire jouer le chien d'un fusil

3) قام بعمله ، ادى واجبه

عمل ما عليه — Jouer son rôle

4) ضارب

مثلا : ضارب بالبورصة — Jouer à la Bourse

5) اعتمد على

مثلا : اعتمد على ضعف الغير او على بؤسه
Jouer sur la faiblesse, la misère d'autrui

6) انتصر ، تغلب

مثلا : تغلب على الصعاب
Se jouer des difficultés

7) استغل ، انتفع

مثلا : استغل نسبه ، او عاهته
Jouer de son ascendant, de son infirmité

8) تدخل

مثلا : لا دخل للاغراض الشخصية فيما بينهم
La question d'intérêt ne joue pas entre eux

9) فـــــر

مثلا : اطلق ساقيه الى الريح
Jouer des jambes

10) حـــاكـــى

مثلا : هذا الثوب يحاكى الحرير
Cette étoffe joue la soie

اما فيما يخص المصدر « Jeu » فاننا نكتفى بمـــا يلـــى :

1) حركة سهلة ، اشتغال شيء بانتظام

مثلا : اشتغال اسطوانة ، اشتغال مضخة
Le jeu d'un cylindre
Le jeu d'une pompe

وعلى سبيل المجـــاز : Au fig :
اشتغال المؤسسات او الانظمة
Le jeu des institutions

2) فعـــل ، عمـــل

بفعل احلاف سريـــة ،
Par le jeu d'alliances secrètes,

بتضافر اسباب شتـــى ،
Par le jeu de causes diverses,

فعل قوات خارجيـــة ،
Le jeu des forces extérieures,

القوات العاملـــة Les forces en jeu

3) مجـــال للتحـــرك

اعطى للقفل مجالا للتحرك
Donner du jeu à une serrure

4) تخلخـــل

مثلا : محور يتخلخل Axe qui a du jeu

5) مجمـــوعـــة

مثلا : مجموعة مفاتيح Un jeu de clefs.

مجموعة فرشات Un jeu de brosses

6) كان معنيا بشيء

كان موضوع مداولة Etre en jeu
(تقرير او مشروع او قانون الخ . .)

7) الشؤون ، القضايا

مثلا : احسن تدبير شؤونه Bien jouer son jeu

8) استخدام ، استعمال ، ادخال

مثلا : استخدم كل موارده
Mettre en jeu toutes ses ressources
Mettre quelqu'un en jeu ادخله فى قضية

9) تعريض لخطـــر

مثلا : عرض حياة انسان للخطر
Mettre en jeu la vie d'un homme

10) تـــورط Etre du jeu, être dans le jeu

فهذه امثلة قليلة من عشرات العبارات والدلالات على العمل المجدى والصلاح والاستقامة وصحة القصد التى يستعمـــل فيهـــا الفرنسيـــون فعـــل « Jouer » ومصـــدره « Jeu »ومنها يتكون جانب الجد فى البيئـــة اللغوية التى تنتمى اليها عبارة : « Jouer un rôle » المجازية التى نحن بصدد التعقيب عليها ، وهى بيئة لا يسع احدا ان يزعم انها غريبة عن العبارة المذكورة او انها لا تنسجم معها كل الانسجام ، فهل يمكننا ان نزعم مثل ذلك لعبارة « لعب دورا » المجازية التى يقصد بها قام بعمل مجد او كان له تاثير ما او فعل ما فى ظرف من الظروف ؟ نرجو القارىء الكريم ان يتفضل فيقوم معنا بجولة فى بيئة فعـــل « لعـــب » ومصدره « اللعب » لنتلمس فيها جانب الجد والجداية حتى نتبين مدى انسجام هذه العبـــارة مـــع البيئـــة اللغوية المراد الحاقها بها .

ففى (لسان العرب) لابن منظور المتوفى سنة 711 هجرية : « اللعب واللعب » : **ضد الجد** ، لعب

يلعب لعبا ولعبا ، ولعب ، وتلاعب ، وتلعب مرة بعد اخرى ، قال امرؤ القيس :

« تلعب باعث بذمة خالد
واودى عصام فى الخطوب الاوائل »

« وفى حديث تميم والجساسة : « صادفنا البحر حين اغتلم ، فلعب بنا الموج » شهرا ، سمى اضطراب الموج لعبا ، **لما لم يسر بهم الى الوجه الذى ارادوه** » · **ويقال لكل من عمل عملا لا يجدى عليه نفعا : انما انت لاعب** وفى حديث الاستنجاء : ان الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، اى انه يحضر امكنة الاستنجاء **ويرصدها بالاذى والفساد** ، لانها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، وتكشف فيها العورات فأمر بسترها والامتناع من التعرض لبصر الناظرين ومهاب الرياح ورشاش البول وكل ذلك من **لعب** الشيطان ،

وفى الحديث لا يأخذن احدكم متاع اخيه **لاعبا جادا** : اى يأخذه ولا يريد سرقته ، ولكن يريد ادخال الهم والغيظ عليه فهو **لاعب فى السرقة** ، جاد فى الاذية وفى حديث على رضى الله عنه : زعم ابن النابغة انى تلعابة اى كثير المزح والمداعبة ، **ولعبت** الريح بالمنزل : **درسته** ، وملاعب الريح : مدارجها ، وتركته فى ملاعب الجن اى حيث لا يدرى اين هو (هـ) (اللسان)

وجاء فى شرح «معجم مقاييس اللغة» لابى الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة 395 هجرية بخصوص مادة « لعب » : « .. وقيل ان اصل الباب هو الذهاب على غير استقامة » ·

وفى القاموس المحيط « للفيروزبادى المتوفى سنة 820 هجرية نجد الشرح التالى : لعب كسمع لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا ولعب وتلعب وتلاعب **ضد جد** ، وهو لعب ولعب والعبان ولعبة كهمزة ، وتلعيبة وتلعاب وتلعابة ويفتحان وتلعاب وتلعابة كثير اللعب ، وبينهم العوبة اى لعب ، والملعب موضعه ، ولاعبها لعب معها ، والعبها جعلها تلعب او جاء بما تلعب به ، واللعوب الحسنة الدل ، وبلا لام من اسمائهن ، والملعبة كمحسنة ثوب بلا كم يلعب به الصبى واللعبة بالضم التمثال وما يلعب به كالشطرنج ونحوه ، والاحمق يسخر به ، ونوبة **اللعب** ، **وملاعب الريح** مدارجها .. » (اهـ · القاموس)

فى الصحاح للجوهرى المتوفى سنة 393 هجرية : « اللعب معروف واللعب مثله ، وقد لعب يلعب · وتلعب لعب مرة بعد اخرى » ورجل تلعابة : كثير اللعب ، والتلعاب بالفتح : المصدر والالعوبة اللعب ، والملعب : موضع اللعب ، واللعبة بالضم : لعبة الشطرنج والنرد وكل ملعوب به فهو لعبة .. » (اهـ ، الصحاح)

ومثل ذلك فى معجم « المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير » تأليف احمد بن محمد المقرى الفيومى المتوفى سنة 770 هجرية ·

وفى اقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، المطبوع سنة 1889 ميلادية تأليف سعيد الخورى الشرتونى : لعب الرجل لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا : **ضد جد** — ومزح او فعل فعلا بقصد اللذة او التنزه **او غير قاصد به مقصدا صحيحا ، أو فعل فعلا لا يجدى عليه نفعا** .. الى غير ذلك وقيل : اللعب هو **فعل الصبيان** يعقب التعب **من غير فائدة** · لعب بكذا : اتخذه لعبة (اهـ ، اقرب الموارد) ·

ونجد نفس الشرح فى معاجم القرن العشرين ، ففى « معجم متن اللغة » للمرحوم الشيخ احمد رضا العضو السابق فى المجمع العلمى العربى بدمشق : لعب لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا ولعابا : **فعل فعلا على غير صحيح ضد جد** ، والعبها جاءها بما تلعب به ؛ ولعبت الريح بالمنزل : درسته · (اهـ المتن)

وفى « المعجم الوسيط » الذى اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة : لعب يلعب لعبا ولعبا : لها · وفى التنزيل العزيز : (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب) ولعب بالشىء اتخذه لعبة · ولعب فى الدين **اتخذه سخرية** · وفى التنزيل العزيز : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) ولعب : **عمل عملا لا يجدى عليه نفعا** (ضد جد) · وفى التنزيل العزيز : (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) فهو لاعب ولعب ، ويقال : لعبت بهم الهموم : **عبثت** بهم ، ولعبت الريح بالمنزل : درسته ·

عند ما وصلنا فى تحرير هذا البحث الى هنا لم نكن رجعنا الى «المنجد فى اللغة» تأليف لويس معلوف فبدا لنا ان استشهادنا بمعاجم القرن العشرين سيظل

ناقصا ما لم يتضمن شرح هذا المعجم الكثير الانتشار والاشتهار وقد فوجئنا مفاجأة سارة اذ وجدنا ضمن شرحه التنبيه على خطأ هذه العبارة بالذات وذلك فـي قوله : « يقال خطأ (لعب دورا) والصواب مثـل دورا » اما بقية الشرح فمثـل ما ورد « فى اقرب المـوارد » ·

وهذا التنبيه الذى لم نكن ننتظره من معجـم وان كان تأييدا قويا لرأينا لم يصحح خطأ العبـارة المذكورة الا من حيث استعمالها فى الحقيقة لا فى المجاز الذى نحن بصدد الحديث عن استعمالها فيه بالذات ·

فنستخلص اذن مما تقدم أن لفظ « اللعب » لم يرد له استعمال فى كلام العرب لا فى شعرهم ولا فى نثرهم ولا فى القرآن الكريم ولا فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بغير معنـى « اللهـو » او « العبث » أو « الفساد » أو « عدم الاستقامة » ، ولم يعن قط على اى حال فى يوم من الايام الجد او العمل المجدى او الصالح او المستقيم بل وحتى فـى وقتنا الحاضر لا يراد له ان يعنى الجد الا فى المجاز المنتحل لهذه العبارة الخاطئـة من اصلهـا « لعب دورا » وهى كما يلاحظ القارىء الكريم ـ عبـارة غريبـة كـل الغرابة عن بيئتها اللغوية تنفـر منهـا نفـورا شديـدا ؛ فيهـا تلاعب خطير بحرمة اللغة العربية من شأنه ان يحدث فيها ثغرة كبيرة يتدفق منها سيل العجمة والرطانة ليجرف الفصيـح ويـذهب بالصحيح ، ثم ان فيها لتلاعبا بحرمة المقدسات الدينية عند ما تستعمل فى مثل العبارتين اللتين صدرنا بهما هذا البحث · فهل ضاقت اللغة العربية على هؤلاء المترجمين والمنشئين بما رحبت حتى يلجأوا الى مثل هذه العبارة النابية الواهية ؟ ! الم يجدوا فى مأثـور لغة الضاد ما كان جديـرا أن يغنيهم عـن التكلف والتمحل ؟ ! فيا ليت شعرى ما كان يضيرهم لو قالوا مثلا : « كان للقـرآن فضـل كبير فى حفظ اللغـة العربية . . » ؟ ! او « كان للاسلام فضل عظيم فـى توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » ؟ او « كان لهما شأن عظيم فى ،،، او أثر كبير فى ،،، » الخ ،،، واذا كان لا مندوحة عن جدة التعبير وطرافته الملحوظتين فى كلمة « دور » فبامكانهم أن يقولوا مثلا : « قـام الاسلام او القرآن بدور كبير فى ،،، » فهذه كلهـا عبارات تؤدى تماما المعنى المجازى للعبارة الفرنسية « Jouer un grand rôle » أم لا تصح فى نظرهم الترجمة ولا يستقيم لهم الكلام حتى يقيسوا ويفصلوا ويخيطوا ثم يصبغوا دلالات الالفاظ العربية على ابعاد واشكال والوان دلالات الفاظ اللغة الاجنبية التـى ينقلون عنها ؟ فاذا ساغ لهم أن يترجموا مجاز عبارة « Jouer un rôle » بـ « لعب دورا » فانـه يسوغ لهم كذلك أن يترجموا سائر العبارات الفرنسية المستعمل فيها فعل « Jouer » بـ « لعب » فيقولوا مثلا « زنبرك او مزلاج لم يعد يلعب » بدلا من « لـم يعد يشتغل » أو « العب المفتاح فى القفل » بدلا من « ادار او شغل المفتـاح فى القفـل » او « لعـب بالبورصة » بدلا من « ضارب » أو « لعبة مفاتيح » بدلا من « مجموعة مفاتيح » الخ ،،،

ان آفة التعريب هذه الترجمة الحرفية العمياء التى تطلع علينا تارة بما يبعث على البكاء وتفاجئنا تارة بما يثير فينا الضحك مثلما حدث فى قصـة صاحب دكان لبيع الدراجات فى احدى المدن المغربية غـداة اعلان الاستقلال · ففى غمرة الحماس ونشوة التحرر كان المواطنون يكثرون من استعمال عبارة « العهـد الجديد » فكتب صاحبنا على دكانه باللغة العربيـة « دراجات العهد الجديد » ثم بدا له ان يكتب العنوان بالفرنسية أيضا فالتجأ الى أحد التراجمـة الذيـن لا يعولون فى عملهم الا على معاجم الترجمة ، ولم يكـن حينذاك يوجد فى المغرب منها سوى معجمى بولـو اليسوعى فبحث الترجمان فى المعجم العربى الفرنسى « الفرائد الدرية » عن المقابل الفرنسى لعبارة « العهد الجديد » العربيـة فوجـد العبـارة الفـرنسيـة « Nouveau testament » هـى كمـا هـو معلـوم اصطلاح مسيحى يطلق على الكتب الدينية المكتوبـة بعد مجىء سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام فكتب صاحبنا على دكانه بالفرنسية العنوان التالى :

« Cycles du Nouveau testament »

فنرجو أن يتدارك الغيورون على اللغة الامر حتى لا يتسع الخرق وحتى لا يبلغ السيل الزبى ·